الطبيعة

بقلم رفيق فاخورى

تحنو على عهودها النفسُ ولا تستطيع أن تصبر عن لقائها
كأنما حَلّ بجسمى روحها وفى عروقى سابَ من دمائها

* * *

بكرٌ لها منها حُلًى دانيةٌ لكل جسٍّ بينهنّ مسلكُ
لى من مرائيها شخوصٌ أجتلى نَجْيايَ فى وصالها وأدرك

* * *

مطبوعةٌ طبعَ الحياة العاريهْ غبطتُها وحزنها علانيهْ
تستقبلُ الأجيالَ فى ثوبٍ إذا أبلته عادت فارتدته ثانيــه

* * *

قديمةٌ ، آثارُ يُحْيِيها ، ولا يمحو بِلَى الخريفِ من جلالها
يمشى عليه الدهرُ وهى عنه فى شُغْلٍ فلا تُلْقى إليــه بالها

* * *

لها البقاء حين تغدو رِمَماً منسيّةً لا تهتدى لها الذِكَرْ
ياليت لى عيناً كمرآة الضُحَى ترعى جَمالها إذا غابَ النظر

* * *

أحْبِبْ بها خرساء حُمّتْ شمسُها فألهبتْ أنفاسَ كلِ ذى حَرَكْ
وهيمنَ الصمتُ على أرجائها كأنْ بِمَنْعى الكونِ قد دارالفلكْ

* * *

واستحوذتْ على الورى إغماءةٌ ثقيلةٌ ، سلطانُها لا يُدْفَعُ
وَعَرَتِ الأطيارَ سكتةٌ فما يَنْعَمُ فى سُبــاته مرجِّعُ

* * *

والنهرُ لهيانٌ وللماء به مَسارِبٌ يَسْبَحُ فيها الخاطرُ
والسهلُ فى غيبوبةٍ مستغرقٌ مَيْتٌ وفيــه تلتقى العناصر !

* * *

أحببْ بها كَسْلَى تولّى جسمَها بعــد اقترارٍ ومراحٍ خَدَرُ
واحتبسَ النسيمُ محروراً فما يَشيعُ فى الفضاء عنها خَبَرُ

* * *

أغرقُ فى سحرائها كآبةً تَنْسُجُ فى قلبى غماماً أسودا
وأشتهى لُقْيانها سُوَيْعَةً أنْسَى بها نفسى ولا أرعى غداً

حمص رفيق فاخورى

فصول ملخصة فى الفلسفة الالمانية

١٥ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

فردريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

يؤمن نيتشه بأن حياة الانسان هى تضال دائم لكل وهم ولكل خطأ . وينظر إلى الوجود بعينى متشائم ؛ فتبدو الطبيعة له صورة تبعث الخوف ، والتاريخ وحشياً خالياً من المعانى ؛ ينفر ممن يؤمن بأن كل شىء هو للأحسن ! ولا يعتقد بأن فى وسع الحياة أن تهب لنا لحظة فرح حقيق . وإذا كانت هذه وهى الحقيقة فواجب الانسانَ السامى أن يحارب بدون هدنة ولا هوادة كل ما هو سىء ، وأن يهدم كل القيم الخاطئة والتعاليم الفاسدة ، وألا يرحم أى مظهر من مظاهر الضعف والرياء والجبن فى هذه الحضارة . (إننى أحلم برجال كاملين ، مطلق الارادة ، لا يدارون ولا يراءون . يدعون أنفسهم الهدامين . يخضعون كل شىء لنقدهم ويضحون بأنفسهم فى سبيل الحقيقة . ألا ينبغى لكل سىء ولكل كاذب أن يظهر تحت وضح النهار ؟ نحن لا نريد أن نبنى قبل الساعة الموقوتة ، ونحن لا ندرى إذا كان بامكاننا أن نبنى ، أو إذا كان الأحسن لنا ألا نبنى أبداً . هنالك متشائمون كسالى خاضعون مستسلمون ؛ إننا لا نكون من هؤلاء . إن المثل الأعلى الذى نتبعه ونترسمه هو الانسان الذى قال عنه شوپنهاور ، من يعتقد بأن السعادة الحقيقية هى غير ممكنة ، ومن يبغض ويمقت الوجود المادى الذى تتكامل فيه الانسانية المنحطة ، ومن يسحق كل ما ينبغى سحقه ولا يشعر بألم يحز فى نفسه ، أو ينتشر حوله ؛ ويمشى بارادة جبارة لا يلويه عن عزمه شىء ، وكل إرادته أن يكون مع الحق والصدق فى كل شأن من شؤونه .)

يصل شوپنهاور بانسانه إلى سلب الحياة منه والفناء المطلق ؛ أما نيتشه فانه يقدس (كاليونانى الديونوزوسى) هذه الارادة التى تريد الحياة الخالدة وتعمل على تخليدها بأية الوسائل . فهو متشائم ، لكن تشاؤمه لا يدفعه إلى الاستسلام ، ولكن إلى البطولة الفاضلة . فهو يرى الزهد علامة من علامات الانحطاط والذل . لأن التشاؤم – عنده – فكرة مستحيل تحقيقها ، لا يقبل

بها واقع ولا يثبتها منطق ، ولن يكون الفناء غاية الوجود ، وهكذا راح نيتشه يمجد الحياة وآلامها بدلاً من أن يبشر بالفناء وبغض الحياة كلها ؛ يقدس مايقوى فى الانسان إرادته ، ويضاعف عزيمته للوصول إلى الهدف الأسمى

ونيتشه فى هذا شأنه شأن اليونان فى مآسيهم ، يفخر بذاته ، ويطول بسموه ، ويعجب بالحضارة اليونانية لأنها انشأت جماعة من الرجال السامين ، وهل غاية الحياة إلا مثل هـذا التوليد ؟ والانسانية عنده تركض وتتألم وتتمخض لتلد هذا العدد الضئيل من هؤلاء الرجال السامين . « وإنما على الانسانيـة أن تعمل لتحمل إلى الأرض رجال عبقرية ، هذه غايتها ، ليس لها من بعدها غاية ! وإن علينا أن نوحى اليها أن تعجل بتوليد الفيلسوف والفنان فينا وفى غيرنا . وأن نسعى إلى إكمال معنى الطبيعة ؛ وأن على الانسان أن يحس بنفسه أنه صنع غير كامل من صنع يدها . ولـكننا نوقظ فيه — برغم نقصه — هذه العبقرية الفنية حتى يساعد الطبيعة على إكمال ماجاء ناقصاً منها ،-وبهذا يكمل الانسان الفنان صنع الطبيعة . وبهذا تغدو معرفة الانسان نفسه وشعوره بصغرها هى أساس نهضته . . .

« ألا إننى أرى فوق شيئاً يتألق ؛ هو أسمى منى ، فيه من معنى الانسان أكثر مما فىّ ! فساعدنى على الوصول إلى هذا المثل ؛ كما أننى سأعمل على مساعدة من يفكر مثلى ويتألم مثلى . . . كل ذلك لنمهد الطريق أمام ذلك الانسان المقبل ، الشاعر بكماله ومعرفته الواسعة ، وعبته العميقة التى لا تحد ، وقدرته الوالدة وتأمله البعيد : هذا الانسان الذى سيحيا فى الأرض حاكماً ، بيده مقياس كل شىء » فلا يجب والحالة هذه أن نترك للمصادفات عمل هذا الانسان ، وإنما ينبغى للناس أن يجهدوا ويعملوا بالانتخاب على خلق هذه الذرية — ذرية الأبطال — على أن هذا المذهب قد يترك جحفلاً من العبيد الذين شأنهم أن ينفذوا ارادة الأبطال . والعبودية — عند نيتشه — لازمة لتحقيق مثل هؤلاء الأبطال . إذ ليست غاية العلم والبراعة أن تخفف من نصب هؤلاء المتعبين . فعمال اليوم ليسوا بأكثر سعادة من عبيد الأمس . هؤلاء كانوا يخضعون لشرفاء ذوى غطرسة وخيلاء . وأولئك دائبون على خلق نخبة سامية من رجال العبقرية ، فالبطل ليس دأبه بأن يحقد على المظلومين والمتخلفين فحسب ، بل مما ينبغى له أن يقتل عامل الشفقة فى صدره إذا هب لأنه عامل بخطر . إذا ظفر عمل على قتل البراعة فى سبيل السعادة المادية للانسانية . وهو — هنالك — لا بد مصطدم بالشريعة الغالبة التى تسيطر على الوجود . وكل من ود أن يحيا ، أو حكم عليه بأن يحيا فى وجود مشحون بالألم والفناء أفينبغى له أن تشتمل نفسه على هذه المضادة المؤلمة التى تعبر عن كنه الحيـاة ، وسر كل تطور واستحالة . . . « كل لحظة تفترس الثانية . وكل ولادة هى موت كائنات لاعـداد لها . الولادة والحياة والموت كنه ذو جوهر واحد . وهكذا نستطيع أن نشبه البراعة المنتصرة بالبطل الظافر الذى يسيل دمه من جراحه ، ولـكنه يجر خلفه قطيعاً من المغلوبين والعبيد المقيدين بعجلته »

ينبغى لنا إذا أردنا الحقيقة أن نضرب بكل وهم باعث على التفاؤل عرض الحائط . فالرجل الغربى الذى يظن ببساطة نفسه أن العلم يبعث على السعادة ، ويرى أن سـعادة الجميع هى غاية الحضارة القصوى ؛ هذا الرجل يجرب أن ينكر تعس « العبيد » هذا التعس اللازم للمجتمع البشرى . وهو يموه عليهم بقداسة العمل ، زاعماً أن الآكل بعرق جبينه هو أشرف الناس . فيا له من مذهب حقير أصبح لا يخدع أحداً ! ولماذا لا نعترف بأن العبودية هى حقار وصغار ، ولـكننا نستطيع أن نخفف وقعها ونجعلها أقل شقاء ، ونحتم على أصحابها القبول بها . . . فما ظال المجتمع الانسانى على هذا الوضع فان فيه الأقوياء الذين يرفعون عظمتهم على طائفة من المستضعفين فى الأرض !

* * *

كان المدفع يدوى فى جوف أوربا ، ونيتشة معتزل فى أحد وديان « الالپ » يعالج درس الروح اليونانية وفنهم وحياتهم . ولما استقر السلام أعلن أن عصر الأحزاب قد شارف النهاية . وأن روحاً حرة يجب أن تنهض وتعرف كيف تتعالى فوق هذه الحدود ! « إن الشرق والغرب مفصولان بشحطة يرسمها قلم لأعيننا ، هذه الشحطة هى التى تثير خوفنا . تقول النفس الفتية (أنا أجرب بأن أكون حرة !) وحق لها أن تثور ، لأنهـا ترى أن شعبين قد يهرقان دماءهما لأن بحراً يفصل بينهما ، أو لأن ديانتين مختلفتين عندهما لم تكونا قبل ألفى عام » وهكذا ترى نيتشه بكل ما أوتى من تفكير وقوة يريد أن يزعزع تقاليد عصره ، ويشعر بنفسه بأنه لم يخلق لحاضره وإنما خلق للأجيال القادمة

(يتبع)

خليل هنداوى